FSM İlmî Araştırmalar *İnsan ve Toplum Bilimleri Dergisi*
FSM Scholarly Studies *Journal of Humanities and Social Sciences*
Sayı/Number 9 **Yıl/**Year **2017** **Bahar/**Spring
© 2017 Fatih Sultan Mehmet Vakıf Üniversitesi
DOI: ---------- - http://dergipark.gov.tr/fsmia - http://dergi.fsm.edu.tr

Araştırma Makalesi / Research Article - **Geliş Tarihi** / Received: 01.01.2017 **Kabul Tarihi** / Accepted: 01.02.2017 - **FSMIAD, 2017; (9): 195-217**

الأَندَلُس في الأدب التركي الحديث

عبد الستار الحاج حامد [*](Abdulsattar Elhajhamed)

ملخص

تتناول هذه المقالة صورة الأَندَلُس في الأدب التركي الحديث المكتوب بالحروف العربية "اللغة العثمانية" (1839-1928م) إذ تقدم لمحة عن علاقة الترك بالأَندَلُس التي تمتد إلى زمن الشيخ الصوفي ابن عربي، وتؤرِّخ لموضوع الأَندَلُس في الأدب العثماني في الحقبة المذكورة بذكر أهم الأدباء الذين تناولوا الأَندَلُس في مؤلفاتهم الأدبية.

وتبحث هذه المقالة في أسباب استلهام الأَندَلُس وتجلياتها في أعمالهم الأدبية، مُفسِّرة ذلك في ضوء الظروف التاريخية التي كانت تمر بها الدولة العثمانية، فقد وجد الكتّاب العثمانيون في الأَندَلُس ما يلزمهم للدفاع عن الحضارة الإسلامية في وجه هجمات الغرب، فكانت الأَندَلُس وسيلة لرفع معنويات العثمانيين الذين كانوا يعيشون حالة انكسار، وكان مصير الأَندَلُس درسا لأخذ العبرة.

والمقالة تبين صورة المسلمين والإسبان في الأعمال الأدبية المدروسة، وبشكل عام بدت صورة الأَندَلُسيين مُشرقة أما صورة الإسبان فقد كانت سلبية.

الكلمات المفتاحية: الأَندَلُس، الأدب التركي الحديث، الدولة العثمانية، المسرح العثماني، الأدب الإسلامي.

* محاضر/طالب دكتوراه، جامعة اسطنبول كلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها/جامعة أولوداغ كلية العلوم والآداب، اسطنبول-بورصة/تركيا
Okutman/Doktora öğrencisi, İstanbul Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Arap Dili ve Edebiyatı Anabilim Dalı/Uludağ Üniversitesi Fen Edebiyat Fakültesi, İstanbul-Bursa/Türkiye, abd.81@hotmail.com

Yeni Türk Edebiyatında Endülüs

Öz

Bu makalede Arap harfleriyle yazılmış olan (1839-1928) yeni Türk edebiyatındaki Endülüs imajı ele alınmıştır. İbnü'l-Arabî'nin yaşadığı döneme dayanan Endülüs-Türk ilişkileri özet bir şekilde verilmiştir. Söz konusu dönemdeki Türk edebiyatçılarının Endülüs'le ilgili vermiş olduğu eserler tanıtılarak Türk edebiyatında Endülüs konusu kronolojik bir şekilde ele alınmıştır.

Makalede Osmanlı Devleti'nin içinde bulunduğu şartlar göz önünde bulundurularak edebiyatçıların edebî eserlerde Endülüs'ü neden ve nasıl ele aldıkları incelenmiştir. Türk edebiyatçıları, Batı saldırılarına karşı İslâm medeniyetini savunmak için gereken malzemeyi Endülüs'te bulmuşlardır. Endülüs, çöküş dönemini yaşayan Osmanlıların moralini yükseltmek için bir araç olarak kullanılmıştır. Endülüs'ün akıbeti de Osmanlı için bir ders olarak sunulmuştur.

Ele alınmış olan eserlerde Endülüslülerin ve İspanyolların imajları incelenmiştir. Genellikle Endülüslülerin imajı olumluyken İspanyolların imajı olumsuz olmuştur.

Anahtar Kelimeler: Endülüs, yeni Türk edebiyatı, Osmanlı Devleti, Osmanlı tiyatrosu, İslâmî edebiyat.

Andalusia in Modern Turkish Literature

Abstract

Andalusia in modern Turkish literature Abstract This article discusses the image of Andalusia in modern Turkish literature written in Arabic script (1839-1928).It provides an overview of the relationship between Ottomans and Andalusia that goes back to the time of mystic sheikh Ibn Arabi. And it chronicles the subject of Andalusia in the Turkish literature in the so-called period by mentioning the most important writers who talked about Andalusia in their literature writings.

This article examines the causes of the of authoring on Andalusia and its manifestations in their literary works interpreted in the light of historical circumstances that were experienced by the Ottoman Empire. Turkish writers found in Andalusia what enforces them to defend Islamic sevilaisation against western attacks. Andalusia was a way to inspire Ottomans who were in deteriorated situation. Andalusia end was lesson because of the similar elements between Andalusia and the Ottoman Empire.

It also presents an image of Andalusians and the Spanish people in the given literary works. Generally the image of Andalusians seemed bright but the image of Spanish people was negative.

Keywords: Andalusia, modern Turkish literature, Ottoman Empire, Ottoman theater, Islamic literature.

أولاً- مقدمة:

الأَندَلُس اسم أطلقه العرب المسلمون على المناطق التي سيطروا عليها في شبه الجزيرة الأيبيرية (إسبانيا والبرتغال) في العصر الأموي. حيث استمرت سيطرة المسلمين في الأَندَلُس أكثر من سبعة قرون، أقاموا خلالها حضارة حققت إنجازات للبشرية في ميادين متعددة. لكن الإسبان استطاعوا القضاء على حكم المسلمين فيها تدريجياً، ومع سقوط إمارة غَرناطَة العربية عام(897 ه= 1492م) انتهت سلطة المسلمين تماماً في الأَندَلُس.

وللأندلس مكانة مهمة عند المسلمين جميعاً، فهي فردوسهم المفقود، وعلى الرغم من مرور القرون على اندثار حكمهم فيها لم ينسوها وبقيت ذِكراها منقوشة في ذاكرتهم، وصارت موضوعًا لأعمال شعرائهم وأدبائهم الأدبية على اختلاف أعراقهم وألسنتهم، فكتب عنها العربي والتركي والباكستاني والماليزي وغيرهم، إذ تناولوا تاريخها وحضارتها في رواياتهم ومسرحياتهم وقصصهم وأشعارهم، فنالت مكانة مهمة في الآداب الإسلامية بلغاتها المتفرقة.

ومن هنا كان من الطبيعي أن يولي الأدباء العثمانيون اهتماماً بموضوع الأَندَلُس، وأن يستلهموا أعمالهم من تاريخها المشرق. ولا سيما في الحقبة الأخيرة من حياة الدولة العثمانية، فقد مرت هذه الدولة بأحداث وظروف جعلت من الأَندَلُس موضوعاً محبباً للأدباء والشعراء العثمانيين، ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أصبح موضوع الأَندَلُس من أهم الموضوعات المتناولة في الأدب التركي، وتناوله أبرز الأدباء في تلك الحقبة.

ثانياً- العلاقة بين العثمانيين والأَندَلُس:

يمكن إرجاع العلاقة بين العثمانيين والأَندَلُسيين إلى زمن وصول الشيخ الأَندَلُسي محيي الدين ابن عربي إلى بلاد الأناضول في زمن السلاجقة، حيث كان يتردد على مدنها، وأقام في كل من ملاطية وقونية وقيسرية وحران في الفترة الواقعة بين عامي (602-607 ه= 1206-1211م)، وترك في هذه المدن مريدين له. فكان للشيخ الأندلسي ومريديه أثر كبير في الثقافة العثمانية التي كان ابن عربي أحد أهم مصادرها.[1]

وأمّا الحلقة الثانية من هذا التواصل بين العثمانيين والأَندَلُسيين فتمثلت بإرسال المسلمين الأَندَلُسيين سفيراً إلى السلطان العثماني بايزيد الثاني يحمل رسالة تتضمن طلب المدد والمساعدة من السلطان لحماية المسلمين الأَندَلُسيين من الإسبان، وطلب توسط السلطان بايزيد الثاني لدى البابا في روما لِيَحُثَّ الإسبان على الكف عن إيذاء المسلمين الأَندَلُسيين. لكن السلطان بايزيد وقتئذ كان يعاني عوائق منعته من إرسال الجنود لمساندة الأَندَلُسيين، أهمها النزاع على العرش مع أخيه الأمير جم، وحربه مع دولة المماليك. فلم يتمكن السلطان إلا من إرسال أسطول لضرب السواحل الإسبانية ونقل من تبقى من المسلمين الأَندَلُسيين إلى سواحل الجزائر وأراضي الدولة العثمانية.[2]

ومثلما كان اهتمام السلطان العثماني محدوداً بالأَندَلُس وأهلها، كان اهتمام المثقفين العثمانيين بهم محدوداً أيضاً في تلك الحقبة. واقتصر اهتمامهم في البداية على ابن رُشد، فقد كتب كل من علاء الدين الطوسي (ت887ه=1482م) والبورصوي حاجي زاده(ت893ه=1488م)، بتشجيع من السلطان محمد

[1] M. Erol Kılıç, "İBNÜ'l-ARABÎ Muhyiddin" *DIA*, c 20; s 495-516.
[2] Feridun Bilgin,"Gırnata İsyanı (1568-1570) Çerçevesinde Osmanlı-Endülüs İlişkileri" *Usûl*, 11 (2009/1),117-140

الفاتح، كتاباً يردّان فيه على أفكار ابن رُشد. وقام شيخ الإسلام ابن كمال حاجي زادة(ت940ه=1534م) في عهد السلطان سليم بكتابة حاشية على كتاب "تهافت الفلاسفة" أيضاً.[3]

أمّا في مجال الأدب فقد كان الترك العثمانيون مطلعين على الأدب الأَندَلُسي، وذلك في إطار تعلمهم الأدب العربي في المدارس في تلك الحقبة، إلا أن موضوع الأَندَلُس لم يدخل الأدب العثماني في الحقبة نفسها، باستثناء الرحلة السفارية التي كتبها السفير العثماني لإسبانيا واصف أفندي(ت 1220ه= 1806م) بعد عودته من إسبانيا واصفاً فيها رحلته التي قام بها بين عامي (1201-1202ه= 1787-1788م)، وقد ذكر فيها لمحة عن تاريخ الأَندَلُس وتأثُّرَه لرؤية الكتب العربية الإسلامية، ولا سيما نسخ القرآن الكريم، في مكتبة الأسكوريال.[4] وكذلك في الأدب الشعبي ورد ذكر الأَندَلُس في ملحمة الغازي كرب (كرب غازي دستانى) إحدى الملاحم الشعبية العثمانية الإسلامية التي كانت منتشرة في الأناضول في القرن السادس عشر الميلادي. ففي هذ الملحمة التي تجري أحداثها في فترة الخليفة الراشدي الرابع يقوم البطل غازي كرب بفتح الأَندَلُس التي بدت في الملحمة قلعة محاطة بالمياه من جهاتها الثلاث.[5]

فيما عدا ذلك لم يتطرق الشعراء والأدباء العثمانيون لموضوع الأَندَلُس حتى عصر التنظيمات، لتصبح الأَندَلُس وتاريخها وحضارتها من أهم المواضيع المحببة لديهم. ويرجع بعض الباحثين إهمال الكتّاب العثمانيين الأَندَلُس في أعمالهم إلى بعد الأَندَلُس عن الدولة العثمانية وعدم وجود رابط جغرافي بين أراضي الدولة العثمانية والأَندَلُس.[6]

ثالثاً- الأدباء الترك والأَندَلُس:

سنتعرف في هذه الفقرة إلى أبرز الأدباء العثمانيين الذين عاشوا في القرن الأخير للدولة العثمانية، ممن تناولوا الأَندَلُس في مؤلفاتهم، مع إعطاء نبذة مختصرة عن تلك المؤلفات.

1. ضياء باشا: (1829- 1880م)

كان ضياء باشا من أشد خصوم السلطان عبد العزيز الذي أبعده إلى قبرص فهرب إلى باريس، بيد أنه بعد عودته من المنفى غيَّرَ كثيرًا من أفكاره التي كان ينادي بها من قبل، فقد عاد من الغرب شرقياً يمجد الشرق وثقافته. قام ضياء باشا بترجمة كتاب لويس فياردود تحت عنوان **"تاريخ الأَندَلُس"**[7] الذي بدأ بترجمته عام (1275ه =1859م)، غير أن ترجمته لم تكن مطابقة للأصل الفرنسي، بل إن الباحثة إنجي أنغينون شككت في أن يكون كتاب **"تاريخ الأَندَلُس"** ترجمة للكتاب الفرنسي، فقد تبين لها خلال مقارنة فهرس الكتاب الأصل وفهرس الكتاب المترجم أن المواضيع مختلفة في الكتابين،[8] كما أن ضياء

[3] Beşir Ayvazoğlu, "Edebiyatımızda Endülüs", *Endülüs'ten İspanya'ya***,** Ankara, Türkiye Diyanet Vakfı, 1996. S.80

[4] Ahmed Cevdet Paşa, *Tarih-i Cevdet*, 2. baskı, Dersaâdet, Matbaa-i Osmaniye, 1309. IV, 348-358

[5] Fatih İyiyol, *Kerb Gazi Destanı: Manzum (inceleme-metin).* İstanbul, Sütun Yayınları, 2014. I, 114.

[6] Beşir Ayvazoğlu, *a,g,m*, s. 80

[7] Ziya Paşa, *Endülüs Tarihi,* İstanbul, Karabet ve Kasbar Matbaası, 1304 H/1886-1887: Tab-ı Sânî (2. bs.).

[8] İnci Enginün, "Edebiyatımızda Endülüs", *Araştırmalar ve Belgeler*, Dergâh Yay., İstanbul 2000, s. 32-41

باشا زين كتابه بأبيات من الشعر التركي والعربي والفارسي تناسب الأحداث والوقائع التي يسردها، وأشار في مقدمة الكتاب أيضاً إلى مراجعته للمصادر العربية والأوربية في أثناء كتابته[9]. والظاهر أن الكاتب استقى معظم مادة كتابه من الكتاب الفرنسي المذكور ولم يترجمه ترجمة كاملة، ولم يكتف بذلك فزاد على هذه المادة بعض الفقرات والأبيات والقطع الشعرية التي تتناسب والمواقف التي يسردها.[10]

يكاد يجمع الكتّاب الترك على أن من أهم أسباب اهتمام أدبائهم بالأَندَلُس كتاب **تاريخ الأَندَلُس**، أما سبب تأليف هذا الكتاب أو نقله فهو ـــ كما ذكره المؤلف في مقدمة الكتاب ـــ أن الأمويين في الأَندَلُس شادوا حضارة عظيمة استفادت منها الشعوب كلّها، غير أن العثمانيين حُرِموا من الاستفادة منها، فقام هو بتأليف هذا الكتاب لسد هذا الفراغ.[11] ويرى الباحث إسماعيل أرون سال أن ثمة سببين لتأليف الكتاب؛ الأول: لفت انتباه المبهورين بالحضارة الغربية إلى الحضارة الإسلامية في الأَندَلُس، وبيان دورها في ظهور الحضارة الغربية المعاصرة، والثاني: رفع معنويات العثمانيين الذين كانوا يعيشون حالة انكسار وانهزام في أنحاء الدولة العثمانية كافة، على كُلّ الصعد.[12]

في بداية الكتاب يتحدث الكاتب عن بداية الإسلام وانتشاره، ثم يشير إلى دور الدولتين العباسية في الشرق والأموية في الأَندَلُس في نشر العلم والثقافة، وكيف أن التعصب المسيحي في الأَندَلُس حرم العالم من أشياء كثيرة. ويتابع الكاتب في طيات الكتاب سرد الأحداث التاريخية، والمقارنة بين الحضارتين الإسلامية والغربية، ويُعلي من شأن الحضارة العربية والإسلامية، ويتحدث عن النظام والعلم والقيم التي جلبها المسلمون العرب لإسبانيا، وكيف استفادت الحضارة الغربية من علوم المسلمين في الأَندَلُس، مشيراً إلى أن إخراج المسلمين من الأَندَلُس أدى إلى تأخر العلم في العالم.

كما ترجم ضياء باشا كتاب ليفال وتشرول عن **"محاكم التفتيش"**1299ه= 1882م، بيد أن هذا الكتاب ظل في ظل كتابه الأول ولم يشتهر. في هذا الكتاب تَطَرَّقَ فيه الكاتب إلى جرائم محاكم التفتيش في إسبانيا بحق اليهود والمسلمين.[13]

ومن الجدير بالذكر أن ضياء باشا ألّف أول مجموعة شعرية في عصر التنظيمات مؤلفة من أشعار اختارها من العربية والتركية والفارسية في عامي (1291-1292ه=1874-1875م) تحت عنوان **"خرابات"**[14]. وقد أعطى لأشعار الأَندَلُسيين مكاناً مهماً في مختاراته، كما ذكر في مقدمة هذا الكتاب عدداً من أسماء الشعراء الأَندَلُسيين الذين أعجب بشعرهم، ونذكر منهم ـــ على سبيل المثال لا الحصر ـــ أبا الوليد ابن زيدون وابن ليون وابن خفاجة وابن سكرة وابن الخطيب.

ومن بين الأشعار التي اختارها ضياء باشا مرثية الأَندَلُس لأبي البقاء الرندي، وقصيدة ابن عبدون في رثاء بني الأفطس التي يقول في مطلعها:

الدَّهرُ يُفجِعُ بَعدَ العَينِ بِالأَثَرِ فَما البُكاءُ عَلى الأَشباحِ وَالصُّوَرِ

[9] Ziya Paşa, *Endülüs Tarihi,* s. 5-6
[10] Ziya Paşa, *Endülüs Tarihi,* I, 4-5.12-13, 25, 41, 97, 131.
[11] Ziya Paşa, *Endülüs Tarihi,* s. 6
[12] İsmail E. Erünsal,"Türk Edebiyatında Endülüs'e İlginin Uyanmasında Ziya Paşa'nın Endülüs Tarihi adlı Tercümesinin Rolü ve Bu Tercümenin Yapılış Nedenleri*",Ötekilerin Peşinde Ahmet Yaşar Ocak'a Armağan,* haz. Mehmet Öz, Fatih Yeşil, Timaş Yayınları, İstanbul 2015, s. 417-423.
[13] Ziya Paşa, *Engizisyon Tarihi*, 1.b. Kostantiniyye (İstanbul) Matbaa-i Ebüzziya, 1299. (1981-1982)
[14] Ziya Paşa. *Harabat,* 1291-1292. İstanbul, Matbaa-i Âmire, 1 c.'de 3 c.

كما اختار قصائد وأشعاراً لكل من ابن حمديس الصقلي ولسان الدين ابن الخطيب وابن خفاجة وأبي القاسم عامر بن هشام وابن الأزرق الأَندَلُسي وابن عمار وأبي حيان الأَندَلُسي وابن جُبير وابن سُكَّرة وغيرهم من الأَندَلُسيين.

2. نامق كمال: (1840- 1888م):

الشاعر نامق كمال أحد مؤسسي الأدب التركي الحديث، تطرّق في أثناء حديثه عن المسرح ونشأته في مقدمة إحدى رواياته، تطرّق إلى ذكر الأَندَلُس، فقد ذكر أنه لا يمكن أن يكون العرب قد أهملوا المسرح في الماضي إهمالاً كاملاً، ويذكر أن صاحب **"نفح الطيب"** قد ذكر في كتابه نوعاً من أنواع التسلية التي كانت شائعة في الأَندَلُس، وعدّ نامق كمال هذا النوع من التسلية نوعاً من أنواع المسرح.[15]

إنَّ الشاعر نامق كمال كان من محبي الشعر العربي، وكثيراً ما يستشهد بأبيات من الشعر العربي في مقالاته ورسائله، وخاصة أشعار شعراء أهل المشرق، ومن الأبيات التي استشهد بها بيت من الشعر ينسب للأمير الأموي الأَندَلُسي عبد الرحمن بن الحكم في رسالة وجهها إلى أحد أصدقائه وهو:

"والشَّيخ إن يحوِ النُهى بتجاربٍ فَشباب رأي القوم عِند شبابها"[16]

3. عبد الحق حامد (1852-1937)

كان الشاعر "الرومنتيكي" عبد الحق حامد ـــ الملقب بـ"الشاعر الأعظم" ـــ من أكثر أدباء العثمانيين اهتماماً بالأَندَلُس، فقد خصّها بخمس مسرحيات من مسرحياته. ويتبنّى الشاعر عبد الحق حامد العقيدة والفكر الإسلاميين اللذين تجليا في كثيرٍ من مؤلفاته، ومن ضمنها مسرحياته الأَندَلُسيَّة التي تصدى فيها لأولئك الذين يربطون بين التخلف والإسلام.

تناول عبد الحق حامد ضمن سلسلة المسرحيات المتعلقة بالأَندَلُس سقوطَ الأَندَلُس في مسرحيته الأولى **"نظيفة"** (1292ه=1876م)[17]. تحدث في هذه المسرحية عن أخطاء أبي عبد الله الصغير، وعن مكائد فردناندو الظالم، وأجرى موازنة بين أخلاق المسلمين وأخلاق الإسبان رجحت فيها الكفة للمسلمين. في المسرحية ترفض نظيفة ـــ الفتاة المسلمة العفيفة ـــ طلب الملك المنتصر فردناندو الذي أحبها العيشَ معه في قصره، وتقدم على الانتحار لرفضه إرسالها إلى بلد إسلامي حر تعيش فيه بحرية. وتناول في مسرحية **"طارق أو: فتح الأندلس"** (1296ه=1879م) ـــ التي كانت من أكثر أعمال عبد الحق حامد شهرة ـــ فتح الأَندَلُس السريع والناجح حسب المعطيات التاريخية. مبرزا القيم الإنسانية النبيلة التي تحلى بها الفاتحون والشجاعة التي أظهروها أثناء الفتح. كما أطلق العنان لخيالة فإلى جانب المعلومات التاريخية نجد قصة حب بين زهراء بنت موسى وطارق بن زياد تكلَّلت بالزواج بعد فتح طُلَيطُلَة.

وتناول في مسرحية **"تزر أو الملك عبد الرحمن الثالث"** (1297ه= 1880م) الحقبة الذهبية من تاريخ الأَندَلُس، تحدث فيها عن قصة حب عبد الرحمن الثالث ـــ أقوى حكام الأَندَلُس ـــ لفتاة إسبانية،

---

[15] Namık Kemal, *Namık Kemal'in Türk Dili ve Edebiyatı Üzerine Görüşleri ve Yazıları*, haz, Kazım Yetiş, 2. Bs, İstanbul, Alfa Yayım Dağıtım, 1996. s.355-356

[16] Namık Kemal, *a.g.e*. s. 240

[17] Abdülhak Hamid Tarhan, *Tarık yahut Endülüs'ün Fethi, İbn Musa yahut Zatü'l-Cemal, Tezer yahut Melik Abdurrahmanü's-Salis, Nazife, Abdullahü's-Sagir*. haz; İnci Enginün. İstanbul, Dergâh Yayınları, 2002.

إذ بنى حامد مسرحيته على رواية مفادها: أن عبد الرحمن الثالث الذي حكم الأَندَلُس خمسين عاماً لم يعش سعيداً إلا أربعة عشر يوماً. لقد جعل الكاتب سبب السعادة في تلك الأيام علاقة حب متبادل بين الناصر وفتاة إسبانية جاءت تسأله المعونة فوقعت بحبه. بيد أن قصة الحب هذه انتهت نهاية مأساوية مع حدوث فتنة في البلاد. فالمسلمون ثارت ثائرتهم لأن تزر الفتاة النصرانية حالت بينهم وبين خليفتهم الذي احتجب عنهم بسببها، والنصارى ثاروا أيضا بسبب اعتناق تزر الإسلام، وقامت ثورة ضد الخليفة، فقرر التضحية بالفتاة الإسبانية وبحبها من أجل إعادة الاستقرار لوطنه.

وتناول في مسرحية **"ابن موسى"** (1297ه= 1880م) فترة التأسيس والاستيطان التي أعقبت الفتح وما تخللها من مكائد ودسائس عاقت عملية فتح الأَندَلُس وأخرتها. فبعد وفاة الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك وانتقال الخلافة من بعده لسليمان، قام الأخير باستدعاء كل من طارق وموسى وعزلهما، والتسبب في قتل والي الأَندَلُس الأول عبد العزيز بن موسى.

أما في مسرحية **"عبد الله الصغير"** (1335ه= 1917م) فقد تناول فيها سقوط غَرناطَة آخر معاقل العرب المسلمين في الأَندَلُس. لكن عبد الحق حامد أطلق العنان لخياله في هذه المسرحية وابتعد عن الحقائق التاريخية، فبعد خسارة أبي عبد الله الصغير غَرناطَة اضطر لمغادرة البلاد والذهاب إلى المغرب مصطحباً معه كارولينا، كارولينا هذه فتاة إسبانية أحبها أبو عبد الله وكانت منبوذة من قبل مجتمعها الإسباني. بيد أن المغرب رفض استقبال هذا الملك الجبان الذي فرط بوطنه، فاضطر للعودة من جديد إلى الأَندَلُس مع كارولينا، وهناك عاش بقية حياته معها في كوخها الصغير. فقد عاش في الكوخ حياة سعيدة أسعد من تلك التي كان قد عاشها في قصر الحمراء.

ويمكن تلخيص أفكار "حامد" في مسرحياته الأَندَلُسيَّة على الشكل الآتي:

- يبرز في مسرحياته قوة الإسلام وشجاعة المسلمين من خلال فتح الأَندَلُس ويوازن دائماً بين المسلمين والمسيحيين، ويرى أن أخلاق المسلمين أسمى من أخلاق المسيحيين.
- المسلمون كلهم يناضلون لإعلاء كلمة الله، فقد نذروا أنفسهم في سبيل الله، كما أنهم يمتلكون إدارة صلبة ومتواضعة. أما الإسبان فمعظمهم ظالمون وضعفاء، ورجال الدين منهم صورتهم سلبية جداً.
- يركز في مسرحياته على مفاهيم الإسلام والإنسانية والعدالة والحق والشريعة، ويربط بين الانحطاط الأخلاقي وانحطاط الدولة، فإذا ما فسدت الأخلاق في دولة ما وضاعت الحقوق وانعدمت العدالة بين الناس فيها فإن هذا الانحطاط سيكون سبباً لسقوط تلك الدولة.
- يظهر مكانة المرأة المرموقة في المجتمع الأَندَلُسي.
- حامد يخرج عن الروايات التاريخية في أماكن كثيرة من مسرحياته، ويطلق العنان لخياله فيغير ويبدل ويزيد وينقص.[18]

4. شمس الدين سامي: (1850- 1904)م

كتب شمس الدين سامي خمس مسرحيات، استلهم ثلاثا منها من تاريخ الأَندَلُس، والمسرحيات التي استلهمها من تاريخ الأَندَلُس هي **"سيدي يحيى"**[19] و**"وجدان"**[20] و**"مظالم الأَندَلُس"**، غير أن

[18] İnci Enginün, *a,g,e,* S. 32-41
[19] Şemseddin Sami, *Seydî Yahya,* İstanbul; Tasvir-i Efkâr Matbaası, 1292.
[20] Şemseddin Sami, *Vicdan,* haz, İrfan Morina. Üsküp, Logos-A, 2014.

المسرحية الأخيرة لم تصل إلينا. عمد الكاتب من خلال مسرحيَّتيه اللتين استلهمهما من تاريخ الأَندَلُس إلى التركيز على مبدأ التضحية من أجل الوطن.

تعدّ مسرحية "**سيدي يحيى**" التي نشرت في عام(1292ه= 1875م) أول مسرحية في الأدب التركي تستلهم سقوط الأَندَلُس في (897 ه= 1492م) تناول شمس الدين سامي في مسرحية "**سيدي يحيى**" شخصية سيدي يحيى المثيرة للجدل. وتدور أحداث هذه المسرحية في أواخر القرن التاسع الهجري وبداية القرن العاشر الهجري في الأَندَلُس في قلعة رازه ومدينة قشتالة.

بطل المسرحية سيدي يحيى هو ابن عم خليفة الأَندَلُس الشيخ أبو الحسن، سيدي يحيى رجل في الخامسة والأربعين من عمره، وهو قائد قلعة رازه التي حاصرها الإسبان، وجوعوا أهلها الذين انتشرت بينهم الأوبئة، وبعد مقاومة طويلة فتح سيدي يحيى باب القلعة الخارجي، وخيّر أهل القلعة بين الاستسلام للعدو أو الانسحاب معه إلى داخل الحصن للدفاع عمّا تبقّى من القلعة، وترك ابنته حليمة أمانة عند خادمه عثمان، وتحصّن في القلعة مع مجموعة من الناس الذين فضلوا البقاء معه. غير أن أحد رجال سيدي يحيى فتح باب الحصن للإسبان مقابل أموال وعدوه بإعطائها له، فاعتقلوا سيدي يحيى وأودعوه السجن. في السجن يخدع الخائن "بدرو" يحيى، وينجح "بدرو" بالهرب من السجن بعد أخذ ملابس يحيى وخاتمه. ويقدّم نفسه للإسبان بأنه سيدي يحيى ويتّفق معهم.

وفي تلك الأثناء كان عثمان خادم يحيى يعيش هو وابنه يوسف وابنة يحيى حليمة عند أسرة إسبانية كالعبيد، في البداية يوسف كان يظن أن حليمة أخته، لكن بعد أن عرف أن حليمة ابنة يحيى وقع في حبها.

يصدر الملك والملكة عفواً عاماً يخرج بموجبه يحيى من السجن، ويبدأ بالبحث عن ابنته حليمة، ويجدها، بعد ذلك يتعقب بدرو، ويكشف للملك والملكة حقيقة المكائد التي حاكها بدرو الذي يودع السجن إلى الأبد، ويسأل الملك يحيى عن رغبته فيقول له إنه يرغب في إعطائه الحرية في الذهاب إلى المكان الذي يريد.

يصرح شمس الدين سامي في مقدمة هذه المسرحية الملأى بالمغامرات بأن مسرحيته لم تكتب وفقاً لكتب التاريخ، ويرى أنه لا ينبغي أن يُعترض عليه لأنه لم يلتزم بالأحداث التاريخية لأن هدفه الأول من كتابة المسرحية تبرئة سيدي يحيى من تهمة الخيانة التي ألصقها التاريخ به[21].

وأمّا مسرحيته الثانية فهي بعنوان "**وجدان**" وقد تناول فيها الفترة الأخيرة من الوجود الإسلامي في الأَندَلُس وبالتحديد فترة سقوط غَرناطَة. نشأت "فاطمة" بطلة هذه المسرحية في غَرناطَة يتيمةً برعاية أخيها حسن. وهي تحب "رضوان" الذي عُرف بشجاعته وحبه لوطنه، ويتم تحديدُ موعدٍ لزواجهما، ولكن ضغوط الإسبان المحاصرين غَرناطَة ترغم الشاب رضوان على تأجيل الزواج والانضمام إلى قوات قائد فرسان غَرناطَة موسى بن أبي الغسان للدفاع عن غَرناطَة.

أما أخو فاطمة حسن فيمثل الشخصية السلبية التي تعود إلى رشدها في آخر الأمر. فهو يحب "ليونورا" الفتاة المسيحية وللزواج منها يوافق على اعتناق الكاثوليكية، وتغيير اسمه إلى ألفونس، ويبتعد عن المسلمين، ولا يشاركهم في الدفاع عن غَرناطَة، فيحظى أخيراً بلقب الدون من الملك

[21] Şemseddin Sami, *Seydî Yahya,* s.4

فرديناند. ولكن حسن لم يكتف بكل ذلك بل طلب من فاطمة أن تعتنق الكاثوليكية أيضاً لكي تتزوج من شقيق زوجته ليوناردو الذي كان يحبها كثيراً. وخدعها بقوله أن رضوان قد قتل، وأن اعتناق الكاثوليكية أمر مؤقّت. عندما يتقدم الجميع الى محكمة التفتيش التي يرأسها الكاردينال ميسي لإثبات صحة اعتناقهم للكاثوليكية يقع الكاردينال في حب فاطمة من النظرة الأولى، وهو ما أثار غيرة رئيسة الراهبات فكتبت رسالة الى البابا في روما تشرح فيها وضع الكاردينال.

في الفصل الأخير، يرسل البابا كاردينالاً جديداً مع أمر بعزل الكاردينال ميسي، ولكن رضوان يكمن له في الطريق، ويقتله ويلبس ملابسه ليقوم بإيصال الأمر إلى الكاردينال ميسي، وعزله ثم تحرير حبيبته فاطمة وشقيقها حسن من السجن، وعندما يرى حسن أخته فاطمة وما تعرضت له من تعذيب يصحو ضميره ويعود إلى إسلامه، وتتأثر زوجته ليونورا أيضاً بذلك وتقرر اعتناق الإسلام.

5. المعلم ناجي: (1850- 1893)م

تناول الشاعر والمفكر العثماني المعلم ناجي في منظومته المسماة "**موسى أبو الغسان أو: حميَّة**"[22] (1299ه= 1882م) الحقبة الأخيرة من الوجود الإسلامي في الأَندَلُس، تحدث فيها عن موسى ابن أبي الغساني أحد الأبطال المسلمين الأَندَلُسيين، بيد أن المنظومة لا تقتصر على حكاية هذا البطل فقد تحدث فيها ناجي عن فتح الأَندَلُس وتطور العلوم فيها إبان عصرها الذهبي بدعم من الخلفاء، كما أشار فيها إلى دور الأَندَلُس في الحضارة الأوربية.

يبدأ الشاعر في منظومته بالحديث عن بدايات الإسلام الذي يشبهه بالنور الذي غمر بلاد العرب، ووصل في فترة قصيرة إلى بلاد الأَندَلُس، فمحا الجهل المستشري بين الناس، وأحل مكانه العلم، مشيراً إلى دور كل من طارق بن زياد وموسى بن نصير في نشر هذا الدين، وتدعيمه في شبه جزيرة الأَندَلُس، وبفضل وحدة الكلمة تمكن المسلمون من فتح الأَندَلُس، ونشر الإسلام فيها. فالأمة المتحدة لا يمكن أن تزول، أما الأمة التي تدب التفرقة بين أفرادها وتبتعد عن الوحدة فمصيرها الزوال، كما أشار الشاعر إلى أهمية العدل في الدولة، فهو "عنان التوفيق" وأساسه.[23]

ثم يشير الشاعر إلى أنّ الأَندَلُس هي مدار افتخار العرب وثمرة جهدهم، فقد أسسوا فيها حضارة عظيمة، وجعلوا من قُرطُبة عاصمة سياسية لهم، ولم يكتفوا بذلك بل جعلوها أهمّ مركز للعلم في العالم. وألمح الشاعر إلى دور الخلفاء في نشر العلم وتشجيعه، فقد حض الخلفاء على العلم، فكثر في الأَندَلُس العلماء والحكماء والشعراء. وأشار إلى أن العلم في الأَندَلُس قد انتقل فيما بعد إلى أوروبة.

وبعد وصول الأَندَلُس إلى الذروة في عصر عبد الرحمن الثالث بدأت هذه الحضارة بالزوال بسبب فساد أخلاق الحكام، وانصرافهم إلى اللهو وانشغالهم عن إدارة الدولة. استغل الإسبان هذا الأمر، وأخذوا يستولون على المدن الأَندَلُسيَّة مدينة مدينة حتى بقيت غَرناطَة الملاذ الوحيد للمسلمين في الأَندَلُس.

بعد ذلك يصور لنا الشاعر المشاورات التي جرت بين الحكماء والعلماء والأمراء والقادة في بهو قصر الحمراء بعد سوء حال البلاد، واستيلاء الإسبان على ممالك الأَندَلُس كلّها ما عدا غَرناطَة، يتكلم في هذا الاجتماع الحاجب أبو القاسم باسم أبي عبد الله الصغير، ويبين للمجتمعين أن الاستسلام وقبول حماية الإسبان هو الحل الوحيد، يصمت الجميع إلا فارس فرسان غَرناطَة وأحد زعماء العشائر العربية

[22] Muallim Naci, *Musa b. Ebu'l-Gazan; Yahud Hamiyyet*, Matba'a-i Ebuzziya, İstanbul, 1299.
[23] Muallim Naci, *a.g.e,* s.5

فيها موسى ابن أبي الغساني الذي يرى أن الناس في غَرناطَة يرفضون الاستسلام، وأن في المدينة عشرين ألفاً من الفرسان، وهم مستعدون للدفاع عن مدينتهم. يضطر أبو عبد الله الصغير إلى القبول برأي موسى، ويرفض التسليم.

يحاصر الإسبان المدينة، ويستبسل موسى في الدفاع عن غَرناطَة، وكلما زاد الخطر ازدادت بسالة موسى وشجاعته. يرى الشاعر أن موسى هو زبدة البسالة العربية، لأنه حارب واستبسل كما استبسل الفاتحون من قبل. غير أن الأعداء حاصروا المدينة من كل الجهات، وقطعوا عن أهلها الطعام، وحل قحط في المدينة. فاجتمع أعيان غَرناطَة مرة أخرى، ورفض المجتمعون كلّهم الحرب وقبلوا الاستسلام، فانتفض موسى بينهم، وألقى خطبة عصماء ذكرهم فيها بما فعله الإسبان من جرائم بحق الأَندَلُسيين في المدن الأَندَلُسيَّة التي استولوا عليها، ثم اتَّهم أعيان غَرناطَة بالجبن والخيانة والجري وراء المنافع الشخصية والمال، وأخبرهم بأنهم سيدفعون الثمن غالياً في المستقبل، وأضاف بأنه لا يمكن لرجل غيور أن يعيش في غَرناطَة بعد أن يستولي عليها الأعداء. فيخيم الصمت على المجلس بعد هذه الخطبة، ويخرج موسى من المجلس منتفضا كالأسد، ويعتلي فرسه، وينطلق إلى محيط غَرناطَة، ويحارب الأعداء المحاصرين للمدينة بالقرب من النهر، وينتصر على مجموعة منهم، لكن تأتيه مجموعة أخرى، وقد جرح، فيلقي نفسه في النهر مخافة أن يقع في أيديهم أسيراً.

ومن الجدير بالذكر أن المعلم ناجي ألف كتاب "**الأسامي**"[24] (1308ه=1890م) الذي ترجم فيه لأكثر من 700 شخصية إسلامية مشهورة، أعطى في كتابه هذا للشخصيات الأَندَلُسيَّة المشهورة مكانة عالية، فقد ترجم لثلاث وعشرين شخصية أندلسية، كما ترجم لبعض ملوك الأَندَلُس من مثل عبد الرحمن الأول، وعبد الرحمن الثاني، وعبد الرحمن الثالث، كما ترجم لبعض علماء الأَندَلُس من مثل ابن البيطار، وابن رشد، ولبنى الأَندَلُسيَّة، وترجم أيضًا لشعراء الأَندَلُس من مثل عائشة القرطبية.

6. محمد عاكف (1873-1936)

على الرغم من أن الشاعر الوطني ومؤلف النشيد الوطني للجمهورية التركية محمد عاكف كان من أشهر الشعراء الإسلاميين في فترة انهيار الدولة العثمانية، وتأسيس الجمهورية التركية، إلا أنه لم يتناول الأَندَلُس إلا في منظومته الطويلة "**منبر السليمانية**"[25]. التي تناول فيها أوضاع المسلمين في مختلف أنحاء العالم في عصره، ودعا المسلمين فيها إلى الوحدة. في هذه المنظومة يبث الشاعر أفكاره على لسان خطيب مسجد السليمانية، وعندما يصور الخطيب للمصلين الوضع الذي آلت إليه أحوال المسلمين في العالم، وكيف أن المساجد تحولت إلى دور للأوبرا، تتعالى أصوات الناس بالبكاء في المسجد، فيشبه الشاعر الخطيب بكاء القوم ببكاء آخر ملوك الأَندَلُس أبي عبد الله الصغير حيث يقول:

"إنَّ بكاءكم هذا أشبَهَ بكاءً آخر

صاحبُ الحظ العاثر الذي أُخِذَ مِن يده تاج الأَندَلُس

عندما سلَّم هذا البلدَ الجميلَ للأجانب وَهَرَبَ

تَسَلَّقَ ظَهرَ صَخرةٍ كَبيرةٍ ونَظَرَ حَولَه

[24] Muallim Naci, *Esâmî,* İstanbul, Mahmud Bey Matbaası, 1308.

[25] Mehmed Âkif, *Safahât İkinci Kitap Süleymaniye Kürsüsünde*, Sebil'ür-reşad Kütüphanesi:1, İstanbul,(1912) 2.tab'ı.

بدت مثل الجنة، السُّهولُ الزمرديَّة التي تركها

لقد أَبكَت المسكينَ بِصوتٍ عالٍ

من الناحية الأخرى تَرى أُم الملك أن هذا حقٌ جداً وتقول:

« إبكِ مِثلَ النِّساءِ مُلكاً مُضاعاً لم تُحافظ عليه مثلَ الرِّجالِ» "[26]

7. سامي باشا زادة سَزائي (1859- 1936)

أحد أهم الكتاب والروائيين الترك، عمل سفيراً للدولة العثمانية في مدريد في الفترة الواقعة بين عامي 1909 و 1914م، فزار الأَندَلُس وكتب عنها مقالتين؛ الأولى بعنوان **"المسجد الجامع: الحمراء"**[27] كتبها في أثناء زيارته للأندلس في عام 1914م، والثانية بعنوان **"غَرناطَة"**[28] كتبها في أثناء حرب التحرير الوطنية في عام 1921م.

يصف سامي باشا زاده سزائي في مقالته **"المسجد الجامع: الحمراء"** المسجد الجامع في مدينة قُرطُبة وصفاً تعريفياً مبيّناً طوله وعرضه وعدد الأعمدة الموجودة فيه. فهذا المسجد الذي كان أكبر المساجد في المعمورة، وقد أصبح مقصداً لطلاب العلوم يؤمونه من الشرق والغرب لينهلوا من العلوم فيه. ويصف لنا شوارع قُرطُبة الضيقة التي ذكرته بالروح الأَندَلُسيَّة والإنسان الأَندَلُسي، وجعلته يُحس بأنه انتقل إلى القرون الوسطى.

ينتقل بعد ذلك للحديث عن قصر الحمراء الذي تجوّل فيه واكتشف كل زاوية من زواياه، فيتحدث عن موقع القصر ومنظره الخارجي، وقاعاته والزخارف التي زيّنت جدرانه، وعكست الروح العربية عليها. ويرى الكاتب أن المرء لا بدّ من أن يكون شرقياً حتى يفهم قصر الحمراء، ويحسّه، فالغربيون يصابون بخيبة أمل عند رؤيته لأنهم عندما لا يرون تمثالاً منصوباً في القصر أو صورة على جدار يعدون ذلك نقصاً عظيماً.

إلا أن عبارة "لا غالب إلا الله" المكتوبة بالخط الكوفي في كل مكان في غَرناطَة لم ترق للكاتب، لقد ذكرته هذه العبارة بالتواكل المستشري بين الشرقيين، والذي كان سبباً من أسباب ضياع الأَندَلُس.

أما مقالته الثانية **"غَرناطَة"** فقد بدأها بترجمةٍ لبيت شعر عربي، مفاده: أنّ الشمس لم تُشرق على مدينتين أجمل من دمشق وغَرناطَة.

وكان الوقت لحظة دخول الكاتب المدينة وقت الغروب، وقد احمرّ وجه المدينة من أشعة الشمس، وبدت له بيوت حي البيازين الذي كانت تسكنه العوائل العربية الأصيلة فاتحةً أبوابها كأنما تنتظر أصحابها القدماء، أما نوافذها المفتوحة فبدت له كأنما تنتظر أشعارهم وأفكارهم التي ستنزل من السماء.

يتحدث الكاتب عن أحاسيسه التي انتابته في أثناء زيارته لمدينة غَرناطَة، ويُعطي لمحة عن موقع وتاريخ المدينة، غَرناطَة كانت الملاذ الأخير للمسلمين في الأَندَلُس، بعد سقوط قُرطُبة وإشبيلِّيَة وبَلَنسِيَة توجه المسلمون إلى ملاذهم الأخير غَرناطَة. وعلى الرغم من المكائد والتأخر من الناحية العسكرية،

---

[26] Mehmed Akif Ersoy, *a,g,e,* s.48

[27] Samipaşazade Sezai*, Sami Paşazade Sezai'nin Hikâye, Hatıra, Mektup ve Edebi Makaleleri*. haz. Zeynep Kerman. İstanbul, İstanbul Üniversitesi Edebiyat Fakültesi, 1981. S, 277-280

[28] Samipaşazade Sezai, *a.g.e,* s.166-170

وحالة الانكسار التي كان يعيشها العرب في تلك الحقبة إلا أن اهتمامهم بالعلم والأدب لم يتأثر بل على العكس من ذلك لقد زادَ اهتمامهم بالعلم، ويرى الكاتب أن هذه الخَصِيصَة-أي تمسك العرب بالعلم في عصور الانحطاط- من الخصائص الخارقة للعادة في العرب؛ فالحروب الخارجية والفتن والثورات الداخلية والمصائب العظام التي ألمت بهم لم تستطع أن تمنعهم من إعلاء شأن العلم والأدب، ومن أن يصبحوا أمة عظيمة، ويضرب مثلاً على ذلك تطور العلم في آخر الفترة العباسية على الرغم من الانحدار السياسي والعسكري. يرى الكاتب أن هذه الحالة ظهرت في غَرناطَة أيضاً، وقد وصلت غَرناطَة إلى الذروة حضارياً، فقد جعل منها البناؤون العرب مدينة رائعة، بيد أن غَرناطَة لم تكن لديها قوة مسلحة قادرة على الدفاع عنها فكان مصيرها الزوال.

ثم ينتقل ليصف حال المدينة في تلك الحقبة، وتسترعي انتباهه الهضبة التي أطلق منها أبو عبد الله تنهيدته الأخيرة، وخيل إليه أنه يسمع تلك الزفرة التي أطلقها أبو عبدالله الصغير عندما غادر المدينة، كما لاح للكاتب من هذه الهضبة طيف خيال رأى مسلماً شرقياً يريد أن يقول له شيئاً.

وفي المساء عاد الطيف يلاحقه، فمنعه من النوم، وعندما فتح النافذة ونظر إلى الهضبة التي أطلق منها العرب تنهيدتهم الأخيرة، بدا له طيف امرأة تضع نقاباً أسود، هذه المرأة كانت تنظر باضطراب وحسرة إلى غَرناطَة وقصر الحمراء. لقد كان هذا الطيف لعائشة التي قالت لابنها

" إبكِ مِثلَ النِّساءِ مُلكاً مُضاعاً لم تُحافظ عليه مثلَ الرِّجالِ"

كانت تحمل في يدها كتاباً، وتضع نقاباً، رفعته عن وجهها، ونظرت حولها، واقتربت من الكاتب ، فنهض احتراماً لها، لقد أخبرته بأنها تطوف في غَرناطَة كل ليلة بعد منتصف الليل، وأن ابنها الذي لم يستطع الدفاع عن غَرناطَة لا يزال يبكي منذ 500 سنة. وفي نهاية حديثها قدمت له القرآن الكريم هدية ليسلمه لمسلمي الأناضول.

8. علي أكرم: (1867-1937)

الشاعر علي أكرم هو ابن الشاعر والمفكر الكبير نامق كمال، نظم هذا الشاعر قصيدة بعنوان **"سائح عربي في الأَندَلُس"**،[29] تحدث فيها عن سائح عربي رأى شجرة نخيل في الأَندَلُس ذكرته بوطنه، فراح يخاطب تلك النخلة. يقول الشاعر علي أكرم بأن والده نامق كمال روى له في صغره حكاية شاعر عربي نظم قصيدة خاطب فيها نخلة رآها في الأَندَلُس. بَيْد أن علي أكرم يذكر أنه لم ير القصيدة العربية.

إن القصيدة التي تزيد على ثمانين شطراً ليست ترجمة لمنظومة عربية ــ كما تعتقد الباحثة إنجي أنغينون[30] ـــــ وإن كانت بعض أبياتها مستوحاة من القطعتين اللتين قالهما الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل عندما رأى نخلة في الأَندَلُس ذكرته بدمشق[31]. نذكر بيتين منها لمشابهتهما أبيات الأمير الأموي وهما:

"آه يا رفيقتي في المحنة، أيتها النخلة العجماء

---

[29] Midhat Cemal*, Nefais-i Edebiye*, Dersaâdet, Araks Matbaası, 1329. 1. c. S. 98-103

[30] İnci Enginün, *a.g.e,* s. 32-41

[31] يا نَخلُ أنت غَريبة مثلي... في الغَرب نائِية عن الأصلِ / فأبكِي وهل تَبكِي مُكَبَّسَة... عَجمَاء لم تُطبع على خَبلي. انظر: تاريخ الفكر الأندلسي، آنخبل جنثالث بلنثيا، تر: حسين مؤنس. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1955. ص 51

حتى البكاء لا يكون لحالك في الغربة ترجمانًا

أنتِ مربوطة بتراب المحنة

اسكُتي... أنت محكوم عليك بالعويل والغربة "[32]

9. محمد نظام الدين:

كان فليلي زاده محمد نظام الدين معاون مدير ثانوية "مكتب عنبر" في دمشق في الحقبة الواقعة بين عامي 1912 و1914م، ترجم في تلك الحقبة قصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء الأَندَلُس شعراً إلى اللغة التركية بمساعدة مدرس اللغة العربية في المدرسة السلطانية العلامة عبد القادر المبارك، ليكون بذلك أول من ترجم شعرًا أندلسيًا إلى اللغة التركية.[33]

10. يحيى كمال: (1884- 1958م)

عمل الشاعر يحيى كمال سفيراً للجمهورية التركية في إسبانيا في الحقبة الواقعة بين عامي 1928و1930م وتحدث عن انطباعاته عن الأَندَلُس في رسائل أرسلها لأصدقائه، جمعت فيما بعد تحت عنوان **"ذكريات إسبانيا"**.[34] كما هي الحال عند سزائي تحدث يحيى كمال عن أهم مَعْلَمَين من معالم الأَندَلُس؛ جامع قُرطُبة وقصر الحمراء.

ففي أثناء تجواله في قُرطُبة لاحظ أن الطابع الشرقي يحكم المدينة، فالشوارع والأسواق ذات الطراز الشرقي تشعر المرء بأنه في دولة مجاورة لتركيا على حد تعبيره، إلا أن الآثار الإسلامية لم يبق منها سوى جامع قُرطُبة وحصن، وعندما دخل الشاعر يحيى كمال جامع قُرطُبة أحس نفسه في وسط غابة من الأعمدة، غير أن التعديلات التي أجريت على الجامع لتحويله إلى كنيسة لم ترق للشاعر، وعد هذه التعديلات نوعاً من التخريب. لكن رغم ذلك فالجامع جميل، وكان سيكون أجمل بسجاده وقناديله على حد وصف الشاعر.[35]

أما غَرناطَة التي وصفها بأنها الذكرى الأخيرة التي تركها العرب في الأَندَلُس بعد أن اجتمعوا فيها من كل أنحاء الأَندَلُس. أحبها كثيراً، وعدها من أجمل الأماكن التي تستحق الزيارة على وجه الأرض، ويذكر الشاعر أنه زار كلاً من قُرطُبة وإشبيلِّيَة وطُلَيطُلَة وبَلَنسِيَة وغيرها من مدن الأَندَلُس، إلا أن غَرناطَة كانت أجملهن، فمن زارها مرة لا يمكنه أن ينساها وسيذكرها دائماً.[36] ومن المفارقات التي جذبت انتباه الشاعر وجود بناءَين في هذه المدينة، الأول: القلعة البسيطة التي بناها جيش الفتح الأول بقيادة طارق بن زياد، والثاني: قصر الحمراء الذي كان آخر ما بناه المسلمون فيها، لم ترق للشاعر جنات العريف بسبب التحريف الذي طالها[37].

---

[32] Midhat Cemal, *a,g,e,*1. c. s. 102

[33] Zekai Konrapa, "Endülüs Mersiyesi-Nizami Tercümesi ve Endülüs Tarihine Kısa Bir Bakış", *İstanbul Yüksek İslâm Enstitüsü Dergisi*, 1964, sayı: 2, s. 165-184.

[34] Yahya Kemal Beyatlı, *Mektuplar ve Makaleler*. İstanbul, İstanbul Fetih Cemiyeti, Yahya Kemal Enstitüsü, 1977. s. 3-20

[35] Yahya Kemal, *a,g,e.*s. 5-6

[36] Yahya Kemal, *a,g,e.*s.15

[37] Yahya Kemal, *a,g,e.*s.7-8

وتحدث الشاعر أيضاً في إحدى رسائله عن رقص الفلمنكو الذي عده رقصاً عربياً أعدم بدوره أيضاً على يد الغجر في إسبانيا.[38] كما كتب قصيدة بعنوان **"الرقص الأَندَلُسي"**.

11. أحمد جودة إمره: (1878-1961)

تناول الكاتب والباحث في مجال اللغة التركية أحمد جودة إمره الأَندَلُس في حكاية خرافية بعنوان **"حكاية الأَندَلُس"**[39]. تدور أحداث هذه الحكاية التي صدرت في عام 1916م في مدينة غَرناطَة في حقبة الحكم العربي لها، حيث كان المسلمون والإسبان يعيشون جنباً إلى جنب في هذه المدينة.

بطل هذه الحكاية رجل أندلسي فقير كان يعمل سقاء في غَرناطَة، يقع في يده كتاب فيه توصيف لطريقة الوصول إلى كنز مدفون في أطراف غَرناطَة، ينجح السقا محمد في الوصول إلى الكنز بمساعدة منجم مغربي، فيبدأ ببيع الجواهر التي عثر عليها، لينفق منها على نفسه، لكنه لم يترك مهنته حتى لا يكتشف الناس أمره، ولكن كانت زوجته في البيت تلبس الحلي التي جلبها، في يوم من الأيام رآها جاره الإسباني بدريغو وهي ترتدي العقود والخلاخل الذهبية، فطلب بدريغو من محمد أن يخبره بمصدر المال، محمد رجل طيب يحب الخير للجميع، لذلك يوافق على اصطحاب بدريغو الحلاق إلى المغارة، فيذهب الثلاثة؛ المنجم المغربي ومحمد وبدريغو إلى المغارة، لكن المغربي لم يكن مطمئنا لبدريغو، وبعد أن حمل بدريغو ما يستطيع من الجواهر، وصعد الدرج الطويل، ووصل إلى باب المغارة، لم يكتف بما أخذ، وقرر النزول مرة ثانية لإحضار المزيد من الذهب، وبعد أن نزل أطفأ المغربي الشمعة الأمر الذي أدى إلى إغلاق باب المغارة وبدريغو في داخلها.

12. سليمان نظيف: (1870- 1927م)

تناول الكاتب والشاعر سليمان نظيف الذي عمل فترة طويلة من حياته في العراق موضوع الأَندَلُس في قصيدته **"الكوبيون"**[40] التي كتبها في فترة الحرب الأمريكية الإسبانية في كوبا، وأهداها إلى شهداء الأَندَلُس.

يقول سليمان نظيف إن سبب كتابة هذه القصيدة التي يظهر فيها بجلاء العداء للإسبان هو مأساة الأَندَلُس التي سمعها قبل أربعين سنة. فقد انتقد الشاعر في القصيدة سياسة الإسبان الاستعمارية، وذكرهم بمظالمهم في الأَندَلُس. نقتطف من هذه القصيدة هذا المقطع المتعلق بالأَندَلُس:

"هُدمت الأَندَلُس واه.. لم ننس إلى الآن.
-يخيل إليّ أنها تأمل منا المدد اليوم-
صدى ألف يا ويلاه يَضربُ آفاقكِ
والخراباتُ تَعُدُّ المظالمَ الماضية."[41]

---

[38] Yahya Kemal, *a,g,e.*s.7
[39] Ahmet Cevdet Emre, *Endülüs Masalı*, Sadâ-yı Millet Matbaası, İstanbul, 1332/1916.
[40] Süleyman Nazif, *Firak-ı Irak: Mesaib-i Vatana Ağlayan Bir Kaç Neşide*, Dersaadet, Mahmud Bey Matbaası, 1336. s. 62-63
[41] Süleyman Nazif, *a,g,e*., s. 62

13. مدحة جمال كونت أي (1885-1956م)

تناول الشاعر والروائي كونت أي قصر الحمراء في قصيدته **"الحمراء"** التي نشرت في عام 1909م. يخاطب الشاعر في قصيدته هذه قصر الحمراء، ويستنكر تركه بيد الإسبان، ويشبهه بجنازة العرب، ويصفه بأنه روح بلا بدن، ويلومه لاحتفاظه بزينته وهو في يد الأعداء، ويطلب منه أن يتخلى عنها، كما يطلب منه أن يظهر كيف استطاع فرد جاهل من الأمة أن يمحو أمته -ربما هذه إشارة لأبي عبد الله الصغير- وأن يظهر للناس ما معنى ظلم البشر. ويُنهي الشاعر قصيدته بهذا البيت الذي يطلب فيه من قصر الحمراء الزوال احتراماً لماضيه المشرق:

"كفى... استحي من عُلوّك البائس
وانهدم احتراماً لماضيك المجيد."[42]

رابعاً- تجليات استلهام الأَندَلُس في الأدب التركي:

وجد الكتّاب الترك في الأَندَلُس كل ما يلزمهم للدفاع عن الحضارة الإسلامية التي ينتمون إليها في وجه هجمات الغرب الشرسة، فكانت الأَندَلُس ملاذا يلجؤون إليه لرفع الروح المعنوية للعثمانيين الذين كانوا يعيشون حالة انكسار، وكما وجدوا في مصير الأَندَلُس درسا لأخذ العبرة فراحوا يحذرون الشعب العثماني من مصير كمصير الأَندَلُس ما لم ينهضوا للدفاع عن أنفسهم وأوطانهم. أما الذين زاروا ديارَ الأَندَلُس منهم فقد وصفوا في كتاباتهم جمال طبيعتها وآثارها التي أحبوها كثيراً وأحسوا الروح العربية فيها.

أ. الأَندَلُس وسيلة للدفاع في وجه الحضارة الغربية

بدأ اهتمام الأدباء العثمانيون بالأَندَلُس بشكل فعلي مع بداية عصر التنظيمات في الدولة العثمانية في عام 1839م. ففي بداية هذا العصر انفتحت الدولة العثمانية على الغرب، وبدأت الثقافة الغربية تتغلغل في الثقافة العثمانية، وباتت أحد أهم مصادر الأدب التركي العثماني، وعلى الرغم من إعجاب المثقفين من العثمانيين ببعض جوانب هذه الثقافة فقد كانوا حذرين في التعامل معها، كانوا لا يرتاحون لها، لأن قسماً من روادها وفلاسفتها كانوا يهاجمون الدين عموماً، والإسلام والمسلمين خصوصاً. وكان الأدباء العثمانيون الذين تربّوا على الثقافة الإسلامية ينبرون للدفاع عن الإسلام عندما يهاجمه الكتاب والفلاسفة الغربيون، فبدأ بعضهم بكتابة "الرَّدِّيَّات"، ولعل أبرزهم في هذا المضمار الأديب والشاعر نامق كمال، الذي كتب رَدّيّة[43] فَنَّدَ فيها ادِّعاءات الفيلسوف الفرنسي أرنست رينان، ولم يقتصر الأمر على الرديات، فقد قام بعضهم باستلهام صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي في أعمالهم الأدبية لإثبات أن الإسلام دين لايعادي العلم أو يقف في وجهه، فوجدوا في تاريخ الأَندَلُس المشرق ضالتهم، فتاريخ الأَندَلُس يشكل دعامة التاريخ الإسلامي المشرق. في ظل الانفتاح على الحضارة الغربية كانت الأَندَلُس الدرعَ القوية التي اتقى بها العثمانيون هجمات أعدائهم الغربيين، فالأدباء، ومن خلال أعمالهم، أرادوا أن يقولوا للعالم الغربي إن الإسلام لم يكن عدواً للعلم يوماً ما بل كان حامياً وراعياً له، والدليل على ذلك الحضارة الأَندَلُسيَّة التي لولاها لما وصلت أوروبا إلى ما وصلت إليه من التقدم العلمي.

---

[42] Mithat Cemal Kuntay, "Elhamra", *Sırat-ı Müstakim* (Ekim 1324), c.1, sayı. 8, s. 118.

[43] Namık Kemal, *Külliyat-ı Kemal, Birinci Tertib, Renan Müdafaanamesi*, İstanbul, Mahmud Bey Matbaası 1326.

المستهدف في هذا الخطاب طبعاً ليس الغربيين فقط بل الشعب العثماني الذي شعر قسم منه بالانبهار أمام هذه الحضارة الغربية أيضا، فكان من واجب الكتاب العثمانيين تحصين مجتمعهم من الادعاءات التي كانت تصدر من الغرب.

وترى الباحثة إنجي أنغينون أن تصوير عبد الحق حامد في مسرحياته الأَندَلُسيَّة الأخلاق والقيم التي يتحلى بها المسلمون والنظام الذي أحضروه إلى إسبانيا رد على أرنست رينان وأمثاله من المهاجمين للإسلام. فقد تصدى لأولئك الذين يربطون بين التخلف والإسلام، وكانت مسرحياته الأَندَلُسيَّة بمنزلة أجوبة لهم.[44]

ويدخل في هذا النطاق أيضاً تساؤل ضياء باشا الآتي الذي أورده في مقدمة كتابه **"خرابات"** مشيراً فيه إلى أن الحضارة الغربية ماكانت لتكون لولا الأَندَلُس.

"لو أن نور الأَندَلُس لم ينتشر

من كان يوقظ أوروبا من نوم الجهل."[45]

ويشترك المعلم ناجي مع ضياء باشا في التركيز على أن أصل الحضارة الغربية هو الحضارة الأَندَلُسيَّة.

"(الأَندَلُس) أثر اجتهاد العرب

أوروبة أخذت منها العرفان

ولا تزال تبيعنا إياه." [46]

كذلك سامي باشا زادة سزائي، أشار في مقالته "غَرناطَة" إلى التقدم العلمي الذي حققه المسلمون الأَندَلُسيون ومع خروجهم من الأَندَلُس تأخر العلم في العالم 400 سنة[47].

ب. الأَندَلُس درس لأخذ العبرة.

ثمة تشابه كبير بين الدولة العثمانية والأَندَلُس، فكلتاهما كانت دولة إسلامية غير مرغوب فيها في أوروبة، وكانتا تخوضان حرباً من أجل البقاء ضد النصارى، وكانتا تفقدان أجزاء من أراضيهما تدريجياً لمصلحة النصارى. في بداية القرن التاسع عشر تقهقر العثمانيون أمام الغرب، وبدأ العالم الغربي يحاول إخراج الدولة العثمانية من أوروبة، لهذا كان العثمانيون يخافون من مصير يشبه مصير الأَندَلُس، لهذا السبب نجد أن الحقبة التي ركز عليها الكتاب العثمانيون في كتابتهم هي الحقبة الأخيرة من حياة الدولة العربية في الأَندَلُس. وفي هذا الصدد يرى الباحث بشير أيواز أوغلو أنّ ضياء باشا في كتابه **"تاريخ الأَندَلُس"** حاول استخراج دروس لأخذ العبرة من خلال إبراز النقاط المشتركة بين الأَندَلُس في زمن ملوك الطوائف والدولة العثمانية التي كانت تعيش عصر انتهائها.[48]

---

[44] İnci Enginün, *a.g.e,* s. 32-41
[45] Ziya Paşa. *Harabat*, s.IX
[46] Muallim Naci, *Musa b. Ebu'l-Gazan,* s. 7-8
[47] Samipaşazade Sezai, *a.g.e,* s.167
[48] Beşir Ayvazoğlu, *a.g.m,*s.81

لقد ركز الأدباء العثمانيين في أعمالهم على الفترة الأخيرة من حياة الدولة العربية الإسلامية في الأَندَلُس. فقد تناول عبد الحق حامد فترة السقوط في مسرحيتين،كذلك فعل شمس الدين سامي في مسرحيتيه المتعلقتين بالأَندَلُس، كما تناول معلم ناجي الفترة نفسها في منظومته، وألمح إليها سامي باشا زادة سزائي في مقالاته ومحمد عاكف في شعره.

إن حديث الكتّاب العثمانيين في أواخر الدولة العثمانية عن سقوط الأَندَلُس بهذه الكثرة يشير إلى شعور عام كان ينتابهم بأن مصيراً كمصير الأَندَلُس بانتظارهم، فأخذوا يحذرون من الوقوع فيما وقع به الأَندَلُسيون، لذا نرى المعلم ناجي في منظومته يحذر الشعب من الفرقة، ويحثّه على الوحدة، يقول:

"إذا كانت الوحدة من طَبع الشَّعب

هل من الممكن أن تزول الدولة؟

إنّ شقاق الشعب آفةُ الملك

وروح الملك اتفاقُ الشعب

الشعب الذي يفارقُ الاتحاد

فليقطع أمله من مراده

الوطن لا يعيش من دون اتحاد

لأن الجسد لا يعيش في غياب الروح.

الاتفاق أصل القوة والعزة

الافتراق سبب الضعف والذل"[49]

يُذكِّر سامي باشا زادة سزائي في مقالته **"غَرناطَة"** أبناء قومه الذين كانوا يخوضون حرب التحرير بمصير يشبه مصير الأَندَلُسيين الذين تركوا أرضهم ولم يدافعوا عنها. فعندما كان في غَرناطَة زاره طيف عائشة أم أبي عبد الله الصغير، فأخبرته بأن ابنها الذي لم يدافع عن غَرناطَة لايزال يبكي منذ 500 سنة. وأوصته أن يوصل القرآن الكريم الذي أهدته إياه لمسلمي الأناضول الذين يخوضون حرب التحرير الوطنية.[50] وما هذه المقاربة إلا للفت أنظار العثمانيين إلى ضرورة الاستماتة في الدفاع عن الوطن، وأخذ العبرة من الأَندَلُس التي لم يدافعوا عنها ففقدوها ولا يزالون يبكون عليها.

أما مُحمَّد عاكف كان من الشعراء الذين ربطوا بين بكاء أبي عبد الله الصغير وبكاء العثمانيين في جامع السليمانية، لعله يشير بذلك إلى أن البكاء لا يجدي نفعاً، وأن على المسلمين التحرك والدفاع عن أوطانهم ومقدساتهم وإلا فمصير كمصير الأَندَلُس ينتظرنهم:

" إنَّ بكاءكم هذا أشبَهَ بكاءً آخر

[49] Muallim Naci, *Musa b. Ebu'l-Gazan,* s. 5.
[50] Samipaşazade Sezai, *a.g.e,* s.170.

صاحبُ الحظِ العاثر الذي أُخِذَ مِن يده تاج الأَندَلُس."[51]

يستحضر الشاعر في هذه الأبيات بكاء أبي عبد الله لأخذ العبرة منه.

ج. الأَندَلُس مثل يحتذى به، ووسيلة لرفع المعنويات:

إن من أوجه التشابه بين الدولة العثمانية والدولة الأَندَلُسيَّة تعايُشَ الأديان والأعراق المختلفة في ظل حكم المسلمين، ومن هنا لايستغرب تذكر الأدباء النموذج الأَندَلُسي واستحضاره في أعمالهم الأدبية في فترة كانت تتقهقر فيها الدولة العثمانية، وتحتاج إلى من يوقف هذا التدهور، ويرفع من معنويات العثمانيين. فكانت تلك الفترة تحتاج إلى حكام عادلين، وقادة شجعان، وشعب يقدم مصلحة الدولة على مصلحته الشخصية. من هنا كان استلهام الشخصيات القيادية في الأعمال الأدبية موضع اهتمام الكتاب العثمانيين. وكان أفضل من قدم نموذجاً للحاكم المثالي الشاعر الأعظم عبد الحق حامد، فأجاب بذلك عن سؤال كيف يجب أن يكون الحاكم؟ لقد قام عبد الحق حامد في مسرحياته المتعلقة بالأَندَلُس بعرض شخصية رجل الدولة المثالي الذي يتحلى بالشجاعة والعدل والقدرة على التضحية بكل شيء في سبيل الوطن لنقد رجال الدولة في عصره، وليبين حاجة الدولة العثمانية إلى مثل هؤلاء الرجال.[52] فقد قدم ثلاثة نماذج إيجابية رئيسة للحاكم والقائد المسلم هذه النماذج هي طارق بن زياد، وموسى بن نصير، وعبد الرحمن الثالث. إنّ القاسم المشترك بين هؤلاء الحكام التضحية بالسعادة الشخصية لتأمين السعادة للشعب والقوة للدولة.

المعلم ناجي أيضاً قدم شخصية إيجابية في زمن سقوط الأَندَلُس وهي شخصية موسى بن أبي الغسان الذي ضحى بنفسه في سبيل غَرناطَة، ولم يقبل الاسستلام وتسليم المدينة على الرغم من قبول أعيان غَرناطَة جميعهم الاستسلام والتسليم.

وهنالك بعض الشخصيات السلبية تاريخياً في المجتمع الأَندَلُسي تحولت إلى شخصيات قيادية إيجابية في بعض الأعمال الأدبية من مثل شخصية سيدي يحيى التي صورها شمس الدين سامي على أنها شخصية وطنية وشجاعة على العكس مما هي عليه في كتب التاريخ.

من الملاحظ أن معظم الأعمال الأدبية التي تناولت سقوط الأَندَلُس كانت تصر على إظهار نضال الأَندَلُسيين حتى آخر رمق ورفضهم الاستسلام، في مسرحية **"نظيفة"** لعبد الحق حامد تهزم الفتاة المسلمة نظيفة فردناندو الذي استطاع هزيمة الأَندَلُسيين برفضها العيش في قصره. ونجد في مسرحية **"سيدي يحيى"** أيضاً هذا الإصرار على رفض الاستسلام على الرغم من كل الظروف التي كانت تحيط ببطل المسرحية. ولعل أبرز نموذج للاستماتة في الدفاع عن الوطن ورفض الاستسلام يقدمه المعلم ناجي في منظومته من خلال شخصية موسى بن أبي الغسان.

يمكننا في هذا الصدد أن نقول إن الشخصيات الأَندَلُسيَّة التي ترجم لها المعلم ناجي في كتابه الأسامي تدخل في إطار تقديم نماذج إيجابية يحتذى بها.

[51] Mehmed Âkif, *a,g,e,* s.48
[52] İnci Enginün, *a.g.e,* s. 32-41

د. الأَندَلُس رمز للجمال:

بدت الأَندَلُس في كتابات بعض الأدباء العثمانيين رمزاً للجمال، كما هي الحال في كتابات سامي باشا زاده سزائي ويحيى كمال اللذين زارا إسبانيا وعملا فيها فترة من الزمن. فقد وصفا في كتاباتهما جمال الأَندَلُس الطبيعي وجمال آثارها التاريخية التي خلفها العرب المسلمون فيها.

إلى جانب جمال الطبيعة كان كل من المسجد الجامع في قُرطُبة وقصر الحمراء في غرناطة محط إعجابهما. وكانت غَرناطَة أكثر ما أثار إعجابهما من المدن الأَندَلُسيَّة. وكانت الزخارف والمُقَرنَصات والبِرك مثار إعجابهما، ومن ذلك الوصف الآتي الذي ذكره سامي باشا زاده سزائي في معرض حديثه عن غَرناطَة:

" ما أرقّ وأَظرَف وأَشَفّ تلك المُقرنَصات والألوان؛ الأحمر، والأزرق الغامق، والأصفر الذهبي.. إن الرُّوح العربية القديمة التي كانت مَنبع هذا الجمال تتجلى في جوهر الصنعة المَكنُون فيها "[53]

خامساً- صورة الإسبان والأَندَلُسيين:

بدت صورة المسلمين الأَندَلُسيين في كتابات الأدباء العثمانيين التي تناولوا فيها الأَندَلُس مشرقة، فظهر الأَندَلُسيون حماة للإسلام ورعاة للعدل وأهلاً للقيم النبيلة والفضائل. أما الإسبان فلم تكن صورتهم فيها بأجمل مما كانت عليه حالهم أيام محاكم التفتيش.

كانت معظم الشخصيات الإسلامية في المسرحيات التي تناولت الأَندَلُس شخصيات إيجابية تتمتع بالأخلاق العالية، والقيم النبيلة، وهي في مجملها شخصيات فاضلة ومثالية، نذرت نفسها في سبيل الله. فقد برأ عبد الحق حامد شخصياته الأَندَلُسيَّة من كثير من التهم التاريخية، وأظهرها شخصيات خالية من العيوب. ويأتي في مقدمة هذه الشخصيات كل من طارق بن زياد وموسى بن نصير وأبنائه. أما المرأة الأَندَلُسيَّة فقد بدت عفيفة طاهرة تضحي بنفسها في سبيل وطنها.

إلى جانب هذه الشخصيات الإيجابية كانت هناك بعض الشخصيات الأَندَلُسيَّة السلبية، نذكر منها شخصية "زيد" في مسرحية **"سيدي يحيى"** الذي خان سيده من أجل المال الذي يحبه كثيراً، زيد أيضاً فاقد للحس الوطني، ويرى أن الرجال الذين يموتون في سبيل الوطن حمقى. ومن الشخصيات السلبية شخصية حسن في مسرحية **"وجدان"** الذي ترك كل شيء دينه وأصدقاءه وأقرباءه، ولم يفكر إلا بنفسه وبمستقبله، وهو كاذب مخادع خدع أقرب الناس إليه، إلا أنه يصحو من غفلته في نهاية الأمر ويعود إلى رشده.

كانت الشخصيات الإسبانية بمعظمها ظالمة وسلبية، ويأتي على رأس هذه الشخصيات من القادة والملوك رودريك وفرديناندو، أما شخصيات رجل الدين من الكاثوليك فقد كانت في منتهى البشاعة في مختلف المسرحيات. نذكر من هذه الشخصيات على سبيل المثال كردنال غَرناطَة في مسرحية **"وجدان"** الذي وقع في حب فاطمة فأراد أن يظفر بها، وحاول حبسها ليجعل منها عبدة له في الدير. لعل سبب الصورة السلبية لرجال الدين الإسبان في المسرحيات هو دورهم السلبي والمخزي في محاكم التفتيش في الأَندَلُس.

كانت هناك بعض الشخصيات الإسبانية الإيجابية، وهم في الغالب ممن غير دينه ودخل الإسلام، غير أن هناك شخصيات بقيت على الكاثوليكية، إلا أنها كانت إيجابية، نذكر من تلك الشخصيات

[53] Samipaşazade Sezai, *a.g.e,* s.144

شخصية مركادوا في مسرحية **"طارق أو: فتح الأندلس"** الذي كان عدوا لرودريك إلا أن عداوته هذه للملك لم تمنعه من الدفاع عن وطنه والاستشهاد في سبيله. ومن الشخصيات الايجابية أيضا ملك إسبانيا في مسرحية **"سيدي يحيى"** الذى بدا عادلاً في المسرحية، غير أن عدالة الملك كانت لغرض تبرئة سيدي يحيى وإخراجه من السجن لا لغرض مدح عدالة الإسبان. وشخصية "مركادوا" في مسرحية **"ابن موسى"** الذي كان محط احترام المسلمين، فقد مات دفاعاً عن وطنه تحت قيادة رودريك الذي يكرهه.

ثمة في **"حكاية الأَنْدَلُس"** أيضا شخصيتان رئيسيتان؛ الأولى السقا محمد الذي يمثل المسلمين، أما الثانية فشخصية الحلاق بدريغو الذي يمثل الإسبان. محمد رجل شريف وكل أهل غَرناطَة تشهد بحسن سيرته على الرغم من فقره، السقا محمد رجل طيب القلب، لا يعرف الحقد والأنانية، أما الحلاق بدريغو فهو رجل شرير وماكر وخائن، يكره المسلمين، ويكره محمد السقاء، واتهمه بقتل رجل مغربي وسرقة أمواله، فهو حسود وأناني وطماع وجبان.

ويذكر الكاتب في الحكاية أن المسلم الشريف لا يمكن أن يرتكب جريمة من أجل المال مهما كان فقيراً. نقتبس من هذه الحكاية الخرافية هذه الفقرة التي تصور حال الإسبان الذين كانوا يعيشون تحت الحكم العربي في الأَنْدَلُس.

"في ذلك الزمن كان الإسبان يعيشون تحت حكم المسلمين، ولا يحبون العرب أبداً، الذين لا يقطعون الطرق منهم في الجبال كانوا يظهرون الطاعة والولاء للمسلمين، لكن قلوبهم لم تكن خالية من الحقد والخصومة للمسلمين (...) حتى الحلاق الفقير بدريغو إسباني مُتطرِّف، أي عدو للعرب، وعدو للمسلمين"[54]

مما سبق يتضح لنا ميل الكتّاب العثمانيين إلى مدح الأَنْدَلُسيين وذم أعدائهم، فحتى في المقالات الأدبية نجد أن هؤلاء الكتاب لا يترددون في وصف الإسبان بالخشونة والتعصب.[55] ولعل ذلك من باب الانتصار للمظلوم. وأوضح ما يبين موقف العثمانيين من الإسبان القول الآتي للشاعر يحيى كمال:

"احترقنا لفقد العرب الأَنْدَلُس وكأننا نحن من فقدها، أصبحنا أعداء للإسبان. حتى إن عداءنا لهم فاق عداءنا للسلافيين الذين أساؤوا ألينا كثيرًا. لأن نيران محاكم التفتيش لم تكن تفارق أعيننا."[56]

ومن هذا القبيل أيضا القول الآتي للأديب والشاعر سليمان نظيف:

"لم أكن قد بلغتُ العاشرة من عمري حين سمعت بمغامرة الأَنْدَلُس التي ستبقى ذكرى ضياعِها مثل خيال حسرة يطوف في خواطر الأمة الإسلامية دائماً، وستُبكى دائماً. أربعون سنة كاملة ولدي غيظ وحقد على إسبانيا"[57]

[54] Ahmet Cevdet, *a.g.e,* s.14
[55] Samipaşazade Sezai, *a.g.e,* s. 279.
[56] Yahya Kemal, *Tarih Musahabeleri*, İstanbul, İstanbul Fetih Cemiyeti, 1976. s. 104
[57] Nurullah Çetin, "Süleyman Nazif'in Fırâk-ı Irak Adlı Eseri", *Türkoloji Dergisi*, C. XI, S. 1, Ankara 1993, s.255

الخاتمة

لقد كان عند أدباء العثمانيين نبأ عن أهل الأَندَلُس وحضارتها، إلا أنها لم تدخل أدبهم بقوة إلا بعد عصر التنظيمات، فبدؤوا أولاً بالكتابة عن تاريخها، بعد ذلك أصبحت من الموضوعات المحببة عندهم، فتناولوها في مسرحياتهم وأشعارهم ومقالاتهم الأدبية، وترجموا لحكامها وعلمائها وشعرائها في تراجمهم، كما أفسحوا المجال لأشعار الأَندَلُسيين في مختاراتهم الشعرية، وكانت أول قصيدة ترجموها من أدبها رثاؤها.

إن الإحساس بدنو أجل الدولة العثمانية بعد عصر التنظيمات، والشعور بالهزيمة الذي بدأ ينتاب العثمانيين أمام الغرب دفع الأدباء العثمانيين إلى البحث عن نموذج يحتذى يصلح لدولتهم ويصلحها، فكان النموذج الأَندَلُسي من بين النماذج التي طرحوها. فراحوا يحثون حكامهم، بطريقة غير مباشرة، على التشبه بحكام الأَندَلُس الأوائل في الالتزام بالعدل والمساواة وتقديم مصالح الدولة على مصالحهم الشخصية. وحاولوا رفع معنويات العثمانيين المنهارة أمام بريق الحضارة الغربية، وذكروهم بالميراث الذي تركه لهم أبناء حضارتهم الإسلامية من الأَندَلُسيين مبينين ضرورة الاستفادة منه لبناء دولة لا شرقية ولا غربية كتلك التي كانت في الأَندَلُس.

المصادر والمراجع

Ahmed Cevdet Paşa, *Tarih-i Cevdet*, 2. bs., Dersaâdet, Matbaa-i Osmaniye, 1309.

Ahmet Cevdet Emre, *Endülüs Masalı*, İstanbul, Sadâ-yı Millet Matbaası, 1332/1916.

Ayvazoğlu, Beşir, "Edebiyatımızda Endülüs", *Endülüs'ten İspanya'ya***,** Ankara, Türkiye Diyanet Vakfı, 1996.

Beyatlı, Yahya Kemal, *Mektuplar ve Makaleler*, İstanbul, İstanbul Fetih Cemiyeti, Yahya Kemal Enstitüsü, 1977.

_____, *Tarih Musahabeleri*, İstanbul, İstanbul Fetih Cemiyeti, 1976.

Bilgin, Feridun, "Gırnata İsyanı (1568-1570) Çerçevesinde Osmanlı-Endülüs İlişkileri" *Usûl*, 1/11, 2009.

Çetin, Nurullah, "Süleyman Nazif›in Fırâk-ı Irak Adlı Eseri", *Türkoloji Dergisi*, c. XI, sayı 1, Ankara 1993.

Enginün, İnci, "Edebiyatımızda Endülüs", *Araştırmalar ve Belgeler*, İstanbul, Dergâh Yayınları, 2000.

Erünsal, İsmail E., "Türk Edebiyatında Endülüs'e İlginin Uyanmasında Ziya Paşa'nın Endülüs Tarihi adlı Tercümesinin Rolü ve Bu Tercümenin Yapılış Nedenleri*",Ötekilerin Peşinde Ahmet Yaşar Ocak'a Armağan,* haz. Mehmet Öz, Fatih Yeşil, İstanbul, Timaş Yayınları, 2015.

İyiyol, Fatih, *Kerb Gazi Destanı: Manzum (inceleme-metin),* İstanbul, Sütun Yayınları, 2014.

Kılıç, M. Erol, "İbnü'l-Arabî Muhyiddin" *DIA*, c. 20.

Mehmed Âkif, *Safahât İkinci Kitap Süleymaniye Kürsüsünde*, 2. tab'ı, İstanbul, Sebil'ür-reşad Kütüphanesi, 1912.

Konrapa, Zekai, "Endülüs Mersiyesi-Nizami Tercümesi ve Endülüs Tarihine Kısa Bir Bakış", *İstanbul Yüksek İslâm Enstitüsü Dergisi*, sayı 2, 1964.

Kuntay, Mithat Cemal, *Nefais-i Edebiye*, c.1, Dersaâdet, Araks Matbaası, 1329.

_____, "Elhamra", c.1, sayı 8, *Sırat-ı Müstakim*, 1324.

Muallim Naci, *Esâmî,* İstanbul, Mahmud Bey Matbaası, 1308.

_____, *Musa b. Ebu'l-Gazan; Yahud Hamiyyet*, İstanbul, Matba'a-i Ebuzziya, 1299.

Namık Kemal, *Namık Kemal'in Türk Dili ve Edebiyatı Üzerine Görüşleri ve Yazıları*, haz. Kazım Yetiş, 2. bs., İstanbul, Alfa Yayım Dağıtım, 1996.

_____, *Külliyat*-ı *Kemal***,** *Birinci Tertib, Renan Müdafaanamesi*, İstanbul, Mahmud Bey Matbaası, 1326.

Samipaşazade Sezai*, Sami Paşazade Sezai'nin Hikâye, Hatıra, Mektup ve Edebi Makaleleri*, haz. Zeynep Kerman, İstanbul, İstanbul Üniversitesi Edebiyat Fakültesi, 1981.

Süleyman Nazif, *Firak-ı Irak: Mesaib-i Vatana Ağlayan Bir Kaç Neşide*, Dersaadet, Mahmud Bey Matbaası, 1336.

Şemseddin Sami, *Seydî Yahya,* İstanbul, Tasvir-i Efkâr Matbaası, 1292.

_____, *Vicdan,* haz. İrfan Morina, Üsküp, Logos-A, 2014.

Tarhan, Abdülhak Hamid, *Tarık yahut Endülüs'ün Fethi, İbn Musa yahut Zatü'l-Cemal, Tezer yahut Melik Abdurrahmanü's-Salis, Nazife, Abdullahü's-Sagir,* haz. İnci Enginün, İstanbul, Dergâh Yayınları, 2002.

Ziya Paşa, *Endülüs Tarihi,* 2. tab'ı, İstanbul, Karabet ve Kasbar Matbaası, 1304 (1886-1887).

_____, *Engizisyon Tarihi*, 1.bs., Kostantiniyye, Matbaa-i Ebüzziya, 1299 (1981-1982).

_____, *Harabat,* c. 1-3, İstanbul, Matbaa-i Âmire, 1291-1292.